

محمد بن عبد الكريم الخطابي الشخصية القيادية الكاريزمية

*سمير بوزويطة

ما زالت شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي تشكل مادة بحثية تستهوي المؤرخين والباحثين ورجال السياسة، لما تتميز به شخصيته القيادية من حالة استثناء شددت الريفيين بمختلف أطرافهم، نحو لون جديد من المقاومة لم يألفه المغاربة من قبل.

إن الحديث عن الكاريزما الرمزية مقترن بالكاريزما القيادية بصورتها المشرقة والمتمرسة والتي أبانت عن قدرة قتالية أبهرت العديد من الحركات التحررية في العديد من المناطق مثل الصين بقيادة ماوتسي تونغ والفيتنام بقيادة هوشي منه.

تستمد شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي مرجعيتها من التاريخ حيث ساهم إلى حد كبير في صنع أحداث ووقائع مرحلة شكلت محطة أساسية من مراحل تاريخ المغرب المعاصر.

يرتبط البحث في تاريخ المقاومة الريفية بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي بأهمية حضور شخصيته العسكرية الكاريزمية في الكتابات العسكرية الفرنسية (1)، والتي أبانت عن تمرس في ميادين القتال، ترجمته خطط وتقنيات الحرب التي خاضها ضد القوات الفرنسية في حوض ورغة ولوكوس فكان للشخصية حضور وازن شد اهتمام المؤسسة العسكرية الفرنسية بالداخل والخارج ولإبراز هذه الصورة نرصد طبيعة الصراع الذي خلفه محمد بن عبد الكريم الخطابي بين اليوطي وبيتان، وأثر ذلك على مواقفهما تجاه حرب الريف.

الشخصية العسكرية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي

انفتحت جل الكتابات العسكرية الفرنسية على أن زعيم المقاومة الريفية كان يتمتع بمعرفة عميقة بواقع الحرب وما يرتبط بدواليبها وبخلافات الأحزاب الفرنسية

* أستاذ باحث - كلية الآداب - فاس - سايس -

حول خطة "تهدة" المغرب، كما كان على علم بالصعوبات والمشاكل التي تتخبط فيها فرنسا خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، لذلك راهن على هذه العوامل واتجه نحو تركيز الجهد على إستراتيجية عسكرية تستمد قوتها من واقع العمليات العسكرية، فتم التركيز على الخطط التالية:

خطة الانسلاخ: اعتمد الزعيم في الانسلاخ إلى المناطق الخاضعة، إرسال الجواسيس إلى هذه المناطق قصد الترويج بالانتصارات المتواصلة للزعيم الريفي الذي يقاوم باسم الإسلام من أجل طرد الأجانب (2).

خطة المباغثة: إن تحقيق النصر في حرب الجبال رهين بتحقيق المباغثة والمبادأة، والتي تفرض التخلي عن استعمال المدافع الثقيلة والنباتات، والاعتماد أكثر على اللواء الخفيف من المشاة، وتعبير سيلاربيه عن ذلك ب: "لقد كان الثوار مدربون على السير في الجبال، ويباغثون قواتنا، وينفذون بذكاء إلى مواقعنا، مستغلين بذلك أصغر الثغرات، إنهم يمثلون عدوا رهيبا" (3).

خطة تشكيل وحدات نظامية: عمل الزعيم الريفي على تنظيم وحدات نظامية، يسهر على تنظيمها مؤطرين لهم خبرات عسكرية عالية، تم جلبهم من الخارج، بالإضافة إلى مرشدين أوروبيين من بينهم (Klems)، وبالرغم من كونه لم يبتكر أسلوبا جديدا في ميدان المدفعية، لكنه نجح في توظيف مدافع المراكز العسكرية الفرنسية التي تمكن من الاستيلاء عليها. وقد كان من مهام هذه الوحدات النظامية زرع الرعب في أوساط القبائل الخاضعة، وتحت تأثير ذلك انضمت بعض القبائل إلى التكتل الريفي، بينما أخرى رفضت الالتحاق بصفوف المقاومين، فوجدت نفسها مرغمة على الانحياز إلى أحد الطرفين (4). وصفوة القول، إن الإستراتيجية العسكرية التي اعتمد عليها زعيم المقاومة الريفية أعطت أكلها إلى غاية نهاية 1925، لتدخل بعد ذلك في طور الانتكاس، ولم يبق باليد ما يتلافى به الوضع المنهار، فلا عجب أن رأينا البطل بعد أيام من مؤتمر وجدة يستسلم لقيادة جيش الاحتلال الفرنسي وينهي الحرب قبل أن تنتشر جنود الاحتلال في القبائل وتستبيحها مدافع الانتصار والانتقام، وينقل الفرنسيون الزعيم إلى فاس وبعدها إلى جزيرة لرينيون بالمحيط الهادي برفقة أخيه السيد محمد والسيد عبد السلام ونساءهم وأولادهم وسائر أفراد الأسرة القريبة، وبقي بها مدة عشرين سنة، حتى صدر الأمر بنقله إلى فرنسا، وهو في الطريق استغل النزول بميناء بور سعيد ليطلب اللجوء السياسي، وقد حصل على ذلك. وهكذا كتب له أن يختم حياته بما برأها من مناصرة الحق وإعلاء راية الإسلام والحرية على صعيد العالم العربي والإسلامي إلى أن وافته المنية في شهر رمضان عام 1383هـ (5). إن الحديث عن الوجه

العسكري في شخصية محمد بن عبد الكريم يرتبط مباشرة برصد مواقف اليوطي وبيتان منه .

اليوطي ومحمد بن عبد الكريم الخطابي

أمام نجاح المقاومة الريفية في نهاية 1924 في إخلاء شفشاون، صرح محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى الرسل الفرنسيين "بأنه لن يسمح للفرنسيين أن يوطدوا أقدامهم في قبائل شمال ورغة، وإذا استمروا في عدم تقدير قوته، فإنه سيكون مجبرا على اللجوء إلى السلاح، ولا بد للفرنسيين أن يتعاملوا مع أهل الريف باعتبارهم قوة لا تقهر". (6) بادر اليوطي إزاء هذا الموقف إلى إرسال تقريرا في 20 دجنبر، أشار فيه إلى الخطر الذي يهدد شمال المغرب الفرنسي، قال فيه:

"كما يبدو لي، نحن أمام واقع حي يتطور كل يوم... و تبقى النتيجة غير يقينية". (7) اتضحت معالم خطورة الحرب الريفية في محاولة اكتساح المناطق الخاضعة للاحتلال الفرنسي، وكانت الانطلاقة، إخضاع قبيلة بني زروال، والتي ساهمت إلى حد في التأثير على مواقف القبائل المجاورة (8). مما حدا باليوطي إلى المطالبة بالإمدادات من الجزائر، وقد أكد أنه لا يمكن إضاعة يوم واحد، وأنه لا يتحمل مسؤولية التأخير، لأن ذلك من شأنه أن يعقد الأوضاع أكثر فأكثر (9) ولم يهدأ باله في المطالبة بالإمدادات، فشرع في الاستعداد للمواجهة تحت قيادة الجنرال دوشومبران، وفي انتظار وصول المدد من الجزائر، لم يجد بدا من الاعتراف بخطورة الموقف العسكري خاصة وأن زعيم المقاومة الريفية أصبح يجول بحرية في حوض ورغة ولوكوس.

ارتفعت أصوات منتقدي اليوطي، وحملته مسؤولية تأخر التعزيزات العسكرية من الجزائر، وقد ردت ذلك إلى أنه حصر الحرب الريفية في حرب شخصية بينه وبين زعيمها. وأنه لم ينسق مع القوات الإسبانية في الوقت المناسب. وبذلك انتقلت الشكوك إلى وزارة الحرب، ولسوء حظ اليوطي تغيرت الحكومة وكان من شأن هذه الأخيرة أن حملته مسؤولية الوضعية الخطيرة التي أصبحت تعيشها المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب. وكانت لغتها مباشرة مع اليوطي وجاء ردها كالتالي: "أنت المسؤول عن تقييم الوضعية والتحرك على ضوءها، إن الحكومة تعلم أنها تستطيع ألا تعتمد على تجربتكم وحسن تدبيركم، كي تبقى منطقتنا في منأى عن الاضطرابات" (10). وبعد ذلك وصلت الإمدادات العسكرية إلى المغرب، لكنها كانت متأخرة، حيث سبق لزعيم المقاومة الريفية أن ضاعف من قوته، ووسع من رقعته وكثف من تحركاته، ومقابل ذلك عمد اليوطي إلى تفعيل إستراتيجية المواقع المتقدمة، حتى يتمكن من إيقاف الزحف الريفي في انتظار تدخل القوات المتمركزة في الخلف. وقد تطلب ذلك من القوات الفرنسية جهودا

مضنية(11). ومن ثمة تبين أن الحكومة كانت تجاربه على مضض، وكان عليه أن يقاوم على الجبهتين التاليتين:

- مواجهة محمد بن عبد الكريم الخطابي.

- توضيح الحالة للرأي العام الفرنسي .

حاول الجنرال "دوكان" بعدما بدأت التعزيزات تصل في آخر يونيو، استدراك الموقف والتركيز على حماية وزان فقط، ولتعزيز ذلك، أصدر أوامره بسحب قواته من المراكز العسكرية المتواجدة بحوض لوكوس(12).

إن هذه الإجراءات لم يكن من شأنها سوى تجنب الاصطدام العسكري وفتح مجال للتفاوض السلمي، حيث لقي ذلك دعماً من لدن الرأي العام الفرنسي والأحزاب اليسارية التي عارضت مبدأ استعمال الآلة العسكرية. وكانت أولى اللقاءات التفاوضية هي إعلان القائد حدو عن رغبته في لقاء كابريلي Gabrielli المراقب المدني لتاوريرت، وإذاًك منح اليوطي لمبعوثه جميع الصلاحيات أثناء التفاوض، وأكثر من ذلك الذهاب إلى أجدير، بحجة زيارة الأسرى(13). وقد كان للطرفين شروطه، فبالنسبة للشروط التي أبرقها اليوطي إلى بلاده كانت كالتالي:

- يجب على محمد بن عبد الكريم أن يعترف بسيادة السلطان.

- أن يعين عاملاً للسلطان على الريف، وخليفته في بلاد جبالة.

- يجب عليه أن يعترف برسم الحدود بين المنطقة الإسبانية والمنطقة الفرنسية.

- أن يستفيد الريف من امتيازات اقتصادية.

- أن يوافق محمد بن عبد الكريم على تجريد الريف وجباله من السلاح. أما محمد بن عبد الكريم فقد وضع شروطاً مسبقة قبل فتح المفاوضات، بحيث تم التركيز فيها على:

- استقلال منطقة الريف.

- جلاء الإسبان على المنطقة الريفية.

أما المسائل الأخرى فيمكن أن يوجد لها حل، وفي المقابل أعلن أنه لن يطالب بالسيادة على القبائل التي توجد تحت سيادة فرنسا. وفي الوقت الذي كان فيه كابريلي يقدم فيه تقريره لليوطي في فاس، كانت تازة توشك على السقوط في أيدي المقاومين الريف. وإذاًك أرسل اليوطي في 9 يونيو رسالة إلى الحكومة الفرنسية يخبرها بأن أي تفاوض مع زعيم المقاومة الريفية يجب أن ينطلق من قاعدة أساسية تشدد على الاعتراف بسيادة السلطان، ومن هذا المنطلق فإن الريف سيحمل على استقلال ذاتي لكن شريطة أن يعين السلطان خليفة له بهذه الناحية . أما في حالة رفض محمد بن عبد الكريم التخلي عن لقب أمير فإنه يمكن أن يصبح كذلك أمير الريف(14).

إن هذا الحل الذي اقترحه اليوطي تحت ضغط الأحداث، هو حل الأمر الواقع، لكنه كان مقتنعا بأنه لا محيد عن السلاح. إلا أن الأمور جاءت على عكس ما كان متوقعا، إذ وابتداء من 1925 سوف تظهر معارضة قوية ضد اليوطي، هذا في الوقت الذي عمل فيه الحزب الاشتراكي على تغيير وتشويه الحقائق (15). وفي الوقت الذي كانت فيه الجبهة المغربية في وضعية صعبة كانت الجبهة الباريسية تعطي صورة مزيفة عن الواقع الفعلي الموجود بالمغرب، إلا أن برقيات اليوطي كانت تعكس الوضعية الحقيقية، ورغم ذلك فوجهة نظر باريس ظلت مستمرة ضد الرئيس الذي يقود حربا قلقلة. كما أن الآراء الرائجة في مكاتب أركان الحرب أكدت على عدم قدرة اليوطي على إدارة الأحداث، وبأن تحركاته في الأيام الأخيرة، عرفت نوعا من الانقطاع وعدم التماسك، ونفس الشيء بالنسبة لتقديراته للأحداث ونتائجها إذ تعرضت للفتور والتقهقر (16).

اليوطي وبيتان ومواقفهما من حرب الريف

لقد أبرقت الحكومة الفرنسية إلى اليوطي، تخبره بأنها سترسل المارشال بيتان إلى المغرب لدارسة الوضعية العسكرية، ولم يجد بدا من الرد التالي: "لا أحد مؤهل لتقدير الوضعية سوى المارشال بيتان" (17)، إن رد اليوطي كان مبنيًا على التصور السابق لديه حول المارشال بيتان، الذي سبق له وأن زار المغرب سنة 1922 وذلك في إطار دورة تفتيشية، وعرف إذاك بحماسة ومنهجية، كما أنه نوه بإنجازات اليوطي العسكرية (18).

كان لحدوث المارشال بيتان بالمغرب يوم 17 يوليو 1925، والذي دام عشرة أيام، الأثر البالغ في تحديد التوجهات الجديدة للعمل العسكري ضد زعيم المقاومة الريفية. كما أن هذا الحل سيقف من لمعان صورة اليوطي، وأكثر من ذلك، فإن تقاعد المارشال لم يكن في حسابان أحد، وذلك بالنظر إلى مكانته ووزنه العسكري والسياسي، إلا أن ساعة الحسم حلت، حيث فرضت الظرفية الجديدة على المقيم العام الانصياع إلى التوجهات الجديدة أو الاستقالة (19) فالبوطي الذي كان يعتبر نفسه هو مركز القرارات العسكرية بالمغرب، قد زعزعت زيارة بيتان هذا الاعتقاد الراسخ، بالرغم من أن مبعوث الحكومة الفرنسية أكد له أنه لم يأت ليتحرى الأمور، وإنما جاء ليدعم موقف المارشال، وذلك بالبحث عن الوسائل الكفيلة لهزم زعيم المقاومة الريفية (20).

وعلى هذا الأساس اطلع بيتان على كل الوثائق والمستندات، وفي خضم ذلك، أطلع اليوطي على نتائج تحرياته وعلى الاقتراحات التي يزمع تقديمها للحكومة الفرنسية بالإضافة إلى أنه ناقش معه التنظيم الجديد للقيادة العامة التي ستكون تحت إمرة اللواء نولان (Naulin) والخطوات العملية التي لن تتم بمعزل

عن اليوطي، وإثر ذلك أظهر اليوطي ارتياحه نظرا لتوافق آرائه مع بيتان ولظنه الكبير على أن سياسته ستجد كل الدعم المرغوب فيه. لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، لأن مبعوث الحكومي قام بعمل المفتش، فركز بالأساس على الهفوات التي أدت إلى عجز اليوطي في مواجهة محمد بن عبد الكريم. وفي بحر أيام قليلة رجع بيتان إلى المغرب في 22 غشت حاملا معه تعيينه على رأس أركان الحرب. ومن المؤكد آنذاك أن اليوطي كان يؤمن بأن المغرب ليس كبيرا لكي يأوي مارشالين، وأنه مستعد للحفاظ فقط بدور المستشار السياسي لزميله المارشال بيتان، شريطة أن يظل ولو صوريا على رأس المؤسسة العسكرية(21). لقد كان للرجلين عقليتين مختلفتين(22).

فرضت الوضعية العامة تجديد هياكل المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب، وتغيير إستراتيجية تدبير المواقف العسكرية المستجدة، وكان من شأن ذلك، تقزيم دور الجنرال "تولان"، وتم التركيز على استعادة السيطرة على قبائل التسول والبرانس وبني زروال وتروال وتفرانت أولا، واحتلال أجدير ثانيا(23). إلا أنه في هذه الظرفية أصبح دور اليوطي هو تأمين مؤخرة الجيش، وإن كان دور الدركي هذا لم يستسغه، إلا أن إحساسه بالواجب الوطني فرض عليه الامتثال لأوامر حكومته. وبذلك قرر انسحابه من مسؤولياته بمجرد انتصار القوات الفرنسية عسكريا، واسترجاع المباراة سياسيا(24). وهذا ما جعل اليوطي يلقي اللوم على وزير الحرب، وكذلك على القيادة العامة للجيش التي حسب ظنه عملت على تحييده بطرق تدرجية بغية إقالته. وعلى العموم فإن البدايات الأولى للتهميش تعود إلى اختلاف المدارس العسكرية، رغم تباين الوضع في فرنسا والمغرب، وعلى إثر ذلك، أنشأت الحكومة الفرنسية إدارة عامة للعمليات مرادفة للقيادة العامة بسيرها المارشال بيتان، الشيء الذي جعل هذا الأخير يتأكد أنه ضحية مؤامرة شاركت فيها جميع الأطراف السياسية والعسكرية(25). وقد ترجم ذلك في برقية أرسلها يوم 8 يوليو إلى "بان لوفي" يقول فيها: "أطلب بالمناسبة من أولئك الذين ينتقدونني، بأن يكفوا عن ذلك"(26).

وللبشارة، فإن اليوطي لم يسلم من انتقادات الصحافة الفرنسية والأجنبية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، ما نقلته جريدة Times من أخبار، بحيث زعمت بأنه:

"قد يتجه المارشال اليوطي إلى فرنسا من أجل الاستراحة والمداواة... كما قام بذلك في السنة الماضية... إن فترة مكوث اليوطي بالمغرب ليست محددة وستكون تبعا للتوقعات والمستجدات العسكرية"(27). كانت هذه الإشارة الأولى التي مكنت اليوطي من الوعي واستيعاب رغبات الحكومة خاصة فيما يتعلق بنزع

ملكيته، ومن ثمة أصبح الكثير يلج على تخلي اليوطي عن مهمته بسبب كبر سنه ومرضه. وكان جواب اليوطي سريعا، يتنكر الخبر والانتقادات وإذاك صرحت جريدة "Times" بالانتقادات التي أدلى بها اليوطي خلال هذا الوضع وأضافت بذلك فيما يخص معالجة المارشال بقولها: "إن فيشي ليست وحدها مدينة المياه في فرنسا" (28) وبذلك يتضح من الخطاب السجالي بين اليوطي ومعارضيه، أن فرنسا وجهت ضربات متتالية إلى اليوطي بغية دفعه إلى الاستقالة. وبعد كل هذا العناء والمضايقات التي تعرض لها اليوطي قرر التثني عن مهامه، ففي 24 شتنبر أرسل رسالة استقالته إلى الحكومة يقول فيها: "في اليوم الذي تحقق فيه التهديد الريطي، لم يبق لي سوى إنقاذ الموقف بأقل الإمكانيات التي كانت متوفرة لدي، واليوم أقول بصراحة، إن الخطر قد زال وأن المستقبل سيكون مفتوحا... أطلب منكم إعفائي من منصب القائد العام والمقيم العام بالمغرب، ويبقى أن موضوع الريف يطرح مشاكل عديدة وجديدة. وكما أوضحت في الرسالة السرية التي توصلتم بها والتي تذكر بكل ما توصلنا إليه منذ الاعتداء الريطي" (29). وعلى إثر ذلك قبلت الحكومة الفرنسية استقالته وعينت خلفا له تيودور ستيغ الرئيس الأسبق للمجلس الاستشاري (30) وضمن نفس السياق قال اليوطي بعدما غادر المغرب: "لا أريد مصافحة ثلاثة رجال Marie Eugène Debeny، Painlevé، Pétain، لقد عزمت أن أدير ظهري لهم إذا ما وضعني القدر أمامهم" (31) وتشأ الأقدار أن يكون بيتان هو المكلف بإلقاء الكلمة التأبينية سنة 1934، والتي لخصت جلائل أعماله وأمجاده، وقد كانت هذه الخطبة بمثابة رد الاعتبار لليوطي وانتقامه من الرجل الذي أراد أن ينزع منه مقاليد سلطته (32).

بيتان وحرب الريف

كان للانتصارات التي حققها محمد بن عبد الكريم على حساب القوات الفرنسية دور فعال في إرسال المارشال بيتان لإدارة العمليات، وقد كان ذلك بطلب من بان لوفي، بحيث سبق لبيتان أن تردد كثيرا في قبول المنصب الجديد لكن إصرار وزير الحرب الفرنسي جعله يقبله عن مضض، إذ يقول في شأن ذلك: "أعرف جيدا أنني لن ألتقي إلا ضربات في هذا النزاع، وأن يتقبل اليوطي ذلك" (33)، وبمجرد وصوله إلى الرباط يوم 17 يوليو، شرع في هيكلة المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب، إذ سلم يوم 24 يوليو الجنرال نولان قيادة الجبهة الشمالية. (34) وانطلاقا من ذلك عكف على دراسة الوضعية العسكرية بالمغرب حيث تبين له من الضروري القيام بالإجراءات التالية:

- تدعيم الفعاليات العسكرية.
- تقوية وتحسين التجهيزات اللوجيستكية.

- تفعيل دور مصلحة الاستعلامات .

- التركيز على إستراتيجية دفاعية .(35)

لقد وعى بيتان بان إنجاح إجراءاته المقترحة تتطلب إمكانات عسكرية مهمة، ولذلك أرسل تقريرا إلى باريس يوم 22 يوليو يؤكد فيه على ضرورة الدعم الإضافي، ولنفس الهدف قام بمحاورة الإسبان، في شأن تحقيق عمل عسكري منسق. وعليه قررت الحكومة الفرنسية إرسال تعزيزات مهمة والتي ضمت ولأول مرة تجريدات كبرى، وبذلك وصلت الفرقة المغربية ما بين 22 إلى 24 يوليو والفرقة 11 ابتداء من 27 يوليو، وقد شكلت هذه الفرق وحدة كبرى سميت فيلق الزحف رقم 19. لكنه بالرغم من ذلك طرح على المؤسسة العسكرية التعجيل في حل المشاكل التالية:

- المشكل الدفاعي: دعت القيادة العامة إلى إصلاح الوضع العسكري وجعل المغرب في مأمن من العدوان الريفى .

- المشكل الهجومي: توجيه الفاعلين العسكريين إلى التركيز على مداومة المقاومين في النقط الإستراتيجية بطريقة تجعل إخضاعه بأسرع ما يمكن، لذلك كان لابد وبأسرع وقت من توجيه الأمر إلى الوحدات وإعادة تنظيم الأسلحة والخدمات بهدف الشروع في التدريب وقيادة الجيوش(36). وتزامنا مع ذلك، شرع بيتان في تععيد أسس التنسيق العسكري مع الإسبان، وإذاك تقرر ضرب قلب الثورة الريفية والتمثل في بلاد بني ورياغل وعلى الخصوص أجدير عاصمة الريف. إن هذا الاتفاق لم يتم المصادقة عليه بشكل نهائي، بل سمح للطرفين أن يستشير حكومتيهما، بحيث نتاح بيتان مع حكومته حول إمكانية مساعدة البحرية الفرنسية للبحرية الإسبانية. وقد تكلل ذلك بموافقة بان لوفي، وترجم ذلك بإرسال مائة كتيبة ومن ثمة تبنت الحكومة الفرنسية برنامج بيتان التالي:

- تنسيق العمليات العسكرية مع الإسبان خلال فصل الصيف.

- التركيز على إستراتيجية تطويق الريف

- تفعيل العمل السياسي مع القبائل غير الخاضعة

- التنسيق مع الإسبان حول الحسم النهائي لاحتلال أجدير خلال ربيع 1926(37).

لم يبق إذن سوى التعجيل في تطبيق هذا البرنامج، حيث توصل بيتان برسالة من الوزير الأول الإسباني يطلعه بأن جيشه سيقوم بالهجوم على مدينة الحسيمة يوم سادس شتير، وأنه سيبعث إليه ضباطا يساعده في مأمورية. لكن في هذا التاريخ لم يدخل مشروع التعاون حيز التطبيق نظرا لان الأمير الريفى ضيق الخناق على الجيش الإسباني في جنوب تطوان، وألزم الجيش الفرنسي على التراجع بمنطقة جنوب شرق وزان. وعلى إثر ذلك كثفت القوات الفرنسية والإسبانية جهودها

وبدأت العمليات الموحدة عملها في 8 شتبر حيث نزلت القوات الإسبانية في الشاطئ الشمالي بين مليلية وسبتة. وفي 14 شتبر نزلت المراكب البحرية بقيادة الجنرال Sanjurjo بنجاح، وفي نفس الوقت كانت العمليات الفرنسية قد بدأت عملها في الجنوب، وتآهب أيضا لخوض المعركة الكبرى في شمال تازة .

لقد أسفرت هذه العمليات على نتائج إيجابية، لكن الجيش الإسباني سقط في كمين "بكودية الطاهر"، وهذا ما سيؤدي إلى البحث عن خطة كفيلة بتحقيق نتائج أفضل. وهكذا وبعد التعديلات أصبحت الحالة العسكرية تتحسن فعليا لصالح فرنسا حيث استولى الجيش الفرنسي على عدد من المراكز العسكرية، التي سبق وأن استردها الريفيون(38).

إن أهم ما يسجل حول التحالف بين القوات الفرنسية والإسبانية، انه لم يأت أكله كما كان متوقعا، حيث لعبت الظروف المناخية القاسية خلال فصل الخريف والشتاء دورا كبيرا في تأجيل العمليات العسكرية بأجدير، بالنظر إلى غزارة الأمطار التي شهدتها هذه الناحية. وخلال هذه المرحلة صرح بيتان بما يلي: "من الآن فصاعدا، سيكون المغرب هادئا، لن تخافوا بعد الآن من محمد بن عبد الكريم لقد أكملت واجبي العسكري، وسأفضي الآن إلى السياسة"(39). يتضح من خلال هذا التصريح، إن القضاء على الثورة الريفية قد تم، إلا أن الوضع بقي على ما هو عليه. وبالنظر إلى تعطش بيتان في القضاء على المقاومة الريفية اتجه إلى مدريد في 4 فبراير لتحديد مراحل التنسيق النهائي حول القضاء على زعيم المقاومة الريفية. إلا أن عند رجوعه إلى باريس، فوجئ بكون الرأي العام الفرنسي يريد إقامة السلم مع محمد بن عبد الكريم، لكنه على الرغم من ذلك، التزمت الحكومة الفرنسية بموقفها تجاه اختيار الحرب. في حين نجح الرأي العام الفرنسي في إجبار الحكومة الفرنسية والإسبانية على التفاوض مع زعيم المقاومة الريفية بمدينة وجدة، والضغط عليه لقبول الحكم الذاتي في حال اعترافه بالمعاهدة الإسبانية الفرنسية لسنة 1904. وحول مؤتمر وجدة يقول "لور"(Laure):

"كانت فرنسا خلال هذا المؤتمر مهددة بفقدان مكانتها، وذلك لأنها قبلت التفاوض مع ذلك الروكي. فلا شيء يؤهله لتمثيل السكان بالأهالي"(40).

يتبين إذن، أن الرأي العام العسكري دخل إلى المفاوضات بهدف إرضاء الرأي العام فقط، وعلى إثر ذلك انتهت المفاوضات بالفشل، ومن ثمة تم التوجه مباشرة إلى العمل العسكري، حيث في 7 مايو احتشدت القوات الفرنسية والإسبانية في الشرق والغرب، لتنتطلق أيام 15 و 17 مايو 1926 بالتحرك على طول الجبهة الممتدة من تيزي وسلي إلى وزان. وبذلك تحركت الآلة العسكرية كالتالي:

- كتيبة الجنرال "دوص": انطلقت وهي مدعمة بقبيلة جزناية والتي يترأسها القائد المذبوح، وقد استولت وحدات هذا القائد على جبل عرمة. وبعد ذلك التحمت الوجدتين في تاويريرت (سوق الأربعاء).
 - كتيبة الجنرال كاستيو : تحركت في الجهة الغربية.
 - كتيبة الجنرال بالميس: تموقت في الجهة الوسطى.
 - كتيبة العقيد بونط: تموقت في الجهة الشرقية.
- ووفق هذه الخطة، تم تطويق زعيم المقاومة الريفية من جميع الجهات، مما اضطر إلى تسليم نفسه للقوات الفرنسية(41). وبذلك انتهت الثورة الريفية على يد المارشال وليس على يد اليوطي الذي يقول في هذا الصدد وهو يستهزئ ببيتان:
- "طبعاً ليس سهلاً إحراز النصر على محمد بن عبد الكريم الخطابي، فقد جلبت العديد من المدافع والدبابات إلى المغرب، كأننا سنواجه جيش ألمانيا"(42).

هوامش

- ¹ - Julien (Charles André), L'Afrique du Nord en marche, Nationalismes musulmans et souveraineté Française, Julliard, Paris, 1972, p. 130.
- يقول جوليان في هذا الشأن : لقد أصبح محمد بن عبد الكريم الخطابي، بشكل رمز المواجهة الإسلامية ضد الزحف المادي للغرب .
- ² - Exposition Coloniale internationale de Paris de 1931, Les armées Françaises d'outre-mer, Les opérations militaires au Maroc, Imprimerie Nationale, Paris, S.D., p. 130.
- ³ - Celarié (Henriette), L'Epopée Marocaine, Librairie Hachette, 1928, pp. 135-138.
- ⁴ - Exposition coloniale Les opérations militaires ..., op.cit., pp. 130-131.
- كنون (عبد الله) ، "محمد بن عبد الكريم الخطابي" ، مجلة أمل، ع 12، س 4 ، 1997، ص 18.
- ⁶ - Exposition Coloniale ... Les opérations militaires ..., op.cit., p. 122.
- ⁷ - Exposition Coloniale ... Les opérations militaires ..., op.cit., p. 123.
- ⁸ - Ibid, p. 123.
- ⁹ - Catroux (Général) , Lyautey le Marocain, Hachette, 1952, p. 174.
- ¹⁰ - Catroux (Général) , Lyautey..., op . cit., pp. 174-178.
- ¹¹ - Ibid , pp. 180-182.
- ¹² - Exposition coloniale ... Les opérations militaires..., op.cit., pp.151-152.
- ¹³ - Exposition Coloniale ... Les opérations militaires..., op.cit., pp. 184-185.
- ¹⁴ - Exposition coloniale ... Les opérations militaires..., op.cit., pp. 186-188.
- ¹⁵ - Ibid, pp. 189-190.
- ¹⁶ - Exposition coloniale ... Les opérations militaires..., op.cit., p.210.
- ¹⁷ - Lottman (Herbert R.), Pétain, Seuil, Paris, 1984, p. 132.
- ¹⁸ - Ibid, p. 128.
- ¹⁹ - Catroux (Général), Lyautey ..., op.cit., p. 223.
- ²⁰ - Ibid . p. 224.
- ²¹ - Lottman (Herbert R.), Pétain ..., op.cit., p. 133.

- ²² - Griffiths (R), Pétain et les Français (1914-1951), Calmann - Lévy, 1974, pp. 154-155.
- ²³ - Catroux (Général), Lyautey ..., op.cit., pp. 239-240.
- ²⁴ - Ibid, p. 247.
- ²⁵ - Ibid, p. 248.
- ²⁶ - Lottman (Herbert R.), Pétain ..., op.cit., p. 130.
- ²⁷ - Ibid, p. 152.
- ²⁸ - Ibid, pp. 153-156.
- ²⁹ - Lottman (Herbert R.), Pétain ..., op.cit., p. 157.
- ³⁰ - Catroux (Général), Lyautey ..., op.cit., p. 263.
- ³¹ - Lottmain (Herbert R.), Pétain ..., op.cit., p. 137.
- ³² - Catroux (Général), Lyautey ..., op.cit., p. 273.
- ³³ - Lottman (Herbert R.), Pétain ..., op.cit., p. 131.
- ³⁴ - Ibid, p. 131.
- ³⁵ - Exposition Coloniale ... Les opérations militaires ..., op.cit., p. 154.
- ³⁶ - Exposition Coloniale ... Les opérations militaires ..., op.cit., p. 155.
- ³⁷ - Lottman (Herbert R.), Pétain ..., op.cit., p. 133.
- ³⁸ - Griffiths (Richard), Pétain ..., op.cit., p. 156.
- ³⁹ - Ibid, p. 185.
- ⁴⁰ - Griffiths (Richard), Pétain ..., op.cit., p. 159.
- ⁴¹ - Lottman (Hebert R.), Pétain ..., op.cit., p. 160.
- ⁴² - Ibid, p. 136.